الكلام والفضلة عن سوابقه ولواحقه عما يندفع به ذلك المأخوذ فتبين ان الاقتصار من ذكر على القصر
في اوي في هذا المقام اما لكونه روايةً وافصح لا يمنع القصر في الممدود فلا يحتاج الى قوله اوى احدكم
نفسه الخ والله اعلم قوله باسمك اللهم احيا واموت هذه الجملة فيها فوائد الاولى قال العلما
حكمة الذكر والدعا عند النوم ان يكون خاتمة اعماله وعند الاستيقاظ منه ان يكون اول عمله ذكر
التوحيد والكلم الطيب كما قيل . واخر شي انت اول هجعة . واول شي انت عند هبوبي .
فتكتب الحفظة في اول صحيفته عملا صالحا وتختم بما يمثل ذلك فيرجى له مغفرة ما بينهما وقد روى الطبراني
من حديث الحسن عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله
عز وجل اذكرني اول النهار ساعة ومن اخره ساعة اغفر لك ما بينهما وكان الصالحون من السلف يجعلون
اول نهارهم واخره الى الليل لامر الاخرة ووسطه لمعيشة الدنيا وفي الحديث يقول الله عز وجل ابن ادم
لا تعجز عن اربع ركعات اول النهار اكفك اخره الثانية قوله باسمك اللهم احيا بفتح الهمزة قال
المص في شرح مسلم قيل معناه بذكر اسمك احيا ما حييت وعليه اموت قلت اي على ذكرى اسمك
مع اعتقادي لعظمة مدلوله وتفرده بالالوهية والملك وقيل معناه بك احيا واموت فالاسم
هنا بمعنى المسمى انتهى ويحتمل عليه ان يكون اسم مقحما واعرض عنه المص لان مذهب البصريين وهو المختار
منع زيادة الاسما قال الكرماني بعد ذكره الوجه الاول فان قلت فيه دلالة على ان الاسم عين
المسمى قلت لا ولا استلزام من حيث ان الاسم يحتمل ان يكون مقحما كقوله . الى الحول ثم اسم السلام عليكما .
انتهى فاشار الى وجه ثالث وقال القرطبي بعد ذكر الوجه الثاني مما نقله المص وهذا قول الشارحين
وقد استفدت من بعض مشايخنا معنى اخر هو انه يحتمل انه يعني باسمك المحيي المميت من اسمائه تعالى
ومعنى ذلك ان الله تعالى انما سمى نفسه باسمائه الحسنى لان معانيها ثابتة في حقه واجب كل
ما ظهر في الوجود من الاثار انما هو صادر عن تلك المقتضيات فكل احيا في الدنيا والاخرة انما هو
صادر عن قدرته على الاحيا وكذا القول في الاماتة وكذا غيره في المعاني التي تدل عليها اسماؤه فكانه تعالى قال
باسمك المحيي احيا وباسمك المميت اموت وكذا القول في سائر الاسما الدالة على المعاني انتهى وقيل
معناه سادات عليها اسماؤك العلية من تنزهك عن كل صفة لم تبلغ غاية الكمال المطلق وتحليك
بكل صفة من الصفات البالغة لذلك الكمال اموت واحيا الثالثة حكمة عدم الاتيان بان
شا الله في هذا الذكر ونحوه قال الشيخ تاج الدين السبكي في الطبقات وجدت بخط الشيخ يعني
والده فكرت عند الاضطجاع في قول المضطجع باسمك اللهم وضعت جنبي وبك ارفعه كما وردت
ان اقول في ارفعه لقوله تعالى ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله ثم قلت
في نفسي ان ذلك لم يرد في الحديث في هذا الذكر المقول عند النوم ولو كان مشروعا لذكره النبي صلى الله
عليه وسلم الذي اوتي جوامع الكلم فطلبت فرقا بينه وبين كل ما يخبر به الانسان من الامور
المستقبلة المستحب فيها ذكر المشية ولا يقال ان ارفعه حال ليس بمستقبل لامرين احدهما ان
لفظه وان كان كذلك لكنا نعلم ان رفع جنب المضطجع ليس حال اضطجاعه والثاني ان استحباب
المشية عام فيما ليس معلوم الحال والمضي وظهر لي ان الاولى الاقتصار على الوارد في الحديث
في الذكر عند النوم بغير زيادة وان ذلك يبنى على قاعدة يفرق فيها بين تقدم الفعل على الجار والمجرور
وتاخره عنه فانك اذا قلت رفع جنبي باسم الله كان المعنى الاخبار بالرفع وهو عمدة الكلام وجا

الجار والمجرور

٧١

الجار والمجرور بعد ذلك تكملة فاذا قلت باسم الله ارفع جنبي كان المعنى الاخبار بان الرفع كائن باسم الله فافهم
هذا السر اللطيف وتامله في جميع موارد الكلام تجد ما يظهر لك به شرف كلام المصطفى صلى الله
عليه وسلم وملازمة المحافظة على الاذكار المأثورة عنه عليه افضل الصلاة والسلام واياك ان
تنظر الى اطلاق ان الجار والمجرور فضلة في الكلام وتاخذه على الاطلاق بل تامل موارد تقدمه
وتاخره في الكتاب العزيز والسنة وكلام العرب الفصحا وتفهم هذه القاعدة الجليلة التي
تفهم بها اللفظ والمعنى واعلم انه لابد من المحافظة على قواعد العربية وعلى فهم كلام العرب
ومقاصدها وقواعد العربية تقتضي ان الجار والمجرور فضلة في الكلام لا عمدة له وان الفعل
هو المخبر به والاسم هو المخبر عنه فهذا اصل الكلام ووضعه ثم قد يكون ذلك مقصود المتكلم وقد
لا يكون على هذه الصورة فانه قد يكون المخبر عنه والمخبر به معلومين او كالمعلومين ويكون
محط الفائدة في كونه على الصفة المستفادة من الجار والمجرور كما نحن فيه فان المضطجع وضع
جنبه معلوم ورفعه كالمعلوم ولم نقل معلوم لانه قد يموت انتهى ومثله ما نحن فيه فان
موته معلوم وحياته كالمعلوم لانه قد يموت حالا والله اعلم الرابعة قوله احيا واموت
يحتمل الموت الحقيقي ويحتمل المجازي وهو النوم كما اطلقت عليه الوفاة في قوله تعالى الله يتوفى
الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الاية واطلق عليه ذلك على سبيل التشبيه والتمثيل ففيه
استعارة مصرحة تبعية ووجه الشبه زوال الشعور والحركة الاختيارية مع كل منهما قال
الطيبي واشير بالتشبيه والتمثيل الى ان المقصود من الحياة اكتساب رضى الله تعالى
والامن من عقابه وبالنوم يزول ذلك ويفوت فائدة الحياة فكان كالميت وقال القرطبي
النوم والموت يجمعهما انقطاع تعلق الروح بالبدن وذلك قد يكون ظاهرا وهو النوم
ولذا قيل النوم اخو الموت وظاهرا وباطنا وهو الموت فاطلاق الموت على النوم مجاز
لاشتراكهما في انقطاع تعلق الروح بالبدن وقيل الموت يطلق على السكون وعلى ما يزيل
القوة النامية في الحيوان والنبات والقوة العاقلة والجهالة ومنه او من كان ميتا
فاحييناه وقد يستعار للحالة الشاقة كالفقر والذل والحياة تحتمل الحقيقية التي بعد
البرزخ والمجازية التي بعد النوم فان الحقيقية لم ترد بالنوم وحياة البرزخ يصح ان يقال
انها مجازية لانه لا يوجد فيها كمال الاحيا بل نوع منه بحيث يفهم الخطاب ويرد الجواب
وان يقال انها حقيقية والمفقود كمال حركة البدن قال تعالى ويأتيه الموت من كل مكان
ظ وما هو بميت كذا يوخذ من فتح الاله الخامسة قوله احيانا بعد ما اماتنا اي احيانا بالاستيقاظ
من النوم لنكتسب ثمرة الحياة من العمل النافع في الاخرة وذلك افضل النعم فلذا احمد عليها الاسما
مع تصور ما في قوله بعد ما اماتنا اي الموت المجازي وهو النوم يقال النوم الموت الخفيف
والموت الثقيل قال الكرماني فان قلت ليس هنا احيا ولا اماتة بل ايقاظ وانامة قلت
الموت عبارة عن انقطاع تعلق الروح من البدن وذلك قد يكون ظاهرا فقط وهو النوم
ولهذا يقال انه اخو الموت وظاهرا وباطنا وهو الموت المتعارف انتهى والنشور الحياة بعد
الموت يقال نشر الميت ينشر نشورا وقوله تعالى واليه النشور اي الذهاب الى دار جزائه المجازي
كل واحد بما يقتضيه ما سبق علمه من خير او شر ويقتضيه عمله من ذلك كما يشهد به الناس
مجزيون باعمالهم وقولنا في تفسير النشور ايضا انه الذهاب الى دار جزائه لمناسبة المقام